ونقصد بها العربية الفصحى، وهى التى نستخدمها فى كتاباتنا الأدبية واللغوية والعلمية ونتحدث بها اليوم.

والدارس لنصوص هذه اللغة الأدبية يجدها تمثل لغة موحدة منسجمة لا تكاد تتضمن شيئًا عن لهجات العرب، فهى بمثابة اللغة المشتركة التى انتظمت جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية، واتخذها الشاعر وسيلة للتعبير عما يجول فى خاطره، كما اتخذها الخطيب للتأثير فى سامعيه، سواء أكان الشاعر أو الخطيب من قريش أم تميم أم غيرها من قبائل العرب(١).

وقد نشأت هذه اللغة المشتركة، ونمت وازدهرت قبل الإسلام. قال إبراهيم أنيس(٢):

(أقدم ما نستطيع تصوره فى شأن شبه الجزيرة العربية، هو أن نتخيلها وقد انتظمتها لهجات محلية كثيرة، انعزل بعضها عن بعض، واستقل كل منها بصفات

---

(١) ينظر:

مستقبل اللغة العربية المشتركة: لإبراهيم أنيس.

دراسات فى فقه اللغة: لصبحى الصالح.

صول فى فقه العربية: لرمضان عبدالتواب.

لامح من تاريخ اللغة العربية: لأحمد نصيف الجنابى.

ه اللغة: لعبد الحسين المبارك.

ه اللغة العربية: لكاصد الزيدى.

) مستقبل اللغة العربية المشتركة ٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خاصة، ثم كانت تلك الظروف، التى هيأت لبيئة معينة، فى شبه الجزيرة، فرصة ظهور لهجتها ثم ازدهارها، والتغلب على اللهجات الأخرى وتلك البيئة هى بيئة مكة وما حولها من معظم مناطق الحجاز).

وهذا يعنى أنه قد جدت عوامل مختلفة، حملت أهل هذه اللهجات على التقارب والاختلاط، فأدى ذلك إلى نشأة اللغة المشتركة، التى يتفاهم بها الناس جميعًا، وأن انتموا إلى قبائل مختلفة.

ولابد للغة المشتركة من مكان متميز تنشأ فيه، وأسباب وظروف معينة تساعد على تكونها وازدهارها وحياتها بجانب اللهجات الأخرى.

وكان هذا المكان الذى نشأت فيه اللغة العربية المشتركة قبل الإسلام هو مكة، حيث قبيلة قريش التى كانت لغتها تتبؤا المكانة الأولى بين اللهجات العربية، فأصبحت هى الفصحى المقصودة عند الإطلاق.

وكانت هناك عوامل قد ساعدت على أن تكون تلك المكانة لقريش، إذ هيأت لظهور هذه اللغة المشتركة، التى كانت نواتها لهجة قريش، وهذه العوامل هى:

١) العامل الدينى: إذْ كانت مكة تضم البيت الحرام، الذى كانت العرب تعظمه وتحجّ إليه فى جاهليتها وتزور أصنامها فيه، وتقدم لها النذور والقرابين.

٢) العامل الاقتصادى: إذ كانت مكة مركزًا تجاريًا، وكانت التجارة بيد قريش، وكانت رحلاتها فى الصيف والشتاء معروفة، أشار إليها القرآن الكريم. وهذا الازدهار التجارى جعل مكة موقعًا ممتازًا بين قبائل العرب المختلفة، فكانوا يفدون إليها للعبادة والاتجار.

٣) العامل السياسى: كانت القبائل تدين لمكة بالسيادة والمكانة الرفيعة، ولأهلها بالإكرام والتبجيل لأنها احتضنت الدين أولا، وملكت المال ثانيا،وحقق لها هذان السببان سلطانا سياسيا قوياً.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولهذه الأسباب كانت اللجهة القرشية من أقوى اللهجات أثرًا فى تكوين اللغة العربية الفصحى، وتتميز تلك العربية الفصحى المشتركة بصفات معينة، شأنها فى ذلك شأن كل لغة مشتركة.

ومن صفات هذه اللغة المشتركة[1]:

١) أنها ككل لغة مشتركة تحل مستوى أرقى من لهجات الخطاب، ولذلك فهى فوق مستوى العامة، لم يتقنها إلا الخاصة من العرب. وهى وإن كانت مفهومة لعامة العرب يستمعون إليها فى شوق وإعجاب، غير أنها لم تكن فى متناول جمهور الناس أو عامتهم. ولذلك كانوا يرون إجادتها مما يرقى بالمرء إلى المركز المرموق بين أهله وعشيرته.

فالخطباء بها هم أصحاب الفصاحة واللسن بين العرب، وشعراؤها هم أهل القرائح الفذة، فهؤلاء وهؤلاء هم وجوه القوم وقادتهم ومحل آمالهم، تتطلع إليهم النفوس وتشرئب إليهم الأعناق فى المجالس والأندية.

٢) إنها لم تكن ذات طابع محلى، فلا تنتمى فى ظواهرها وعناصرها إلى قوم بأعينهم أو إلى بيئة معينة، يسمعها المرء فلا يكاد يدرى إلى أى قبيلة ينتسب المتكلم بها، فهى مزيج منسجم من القواعد والأصول أخذت مع الزمن هذا الشكل العام، فلا تدعيها لنفسها قبيلة من القبائل، ولا يقتصر شأنها على بيئة بعينها من بيئات العرب القدماء.

من هذا نخلص إلى أن اللغة العربية المشتركة هى ليست لغة قريش وحدها، أو تميم، أو غيرها من قبائل العرب، بل هى مزيج من كل هذا، تكونت له شخصيته وكيانه، وأصبح مستقلا عن اللهجات، وإن التمس هذا المزيج فى نشأته، قسمًا من صفات هذه اللهجات، بعد هضمه.

---

(١) اللغة العربية المشتركة ٩.